**4- المنهج الدياليكتيكي(من افلاطون الى هيجل)**

**أفلاطون:**  
 يوصف المنهج الأفلاطوني بالمنهج الجدلي، والتحليلي، والفرضي، وهو القاعدة التي يرتكز عليها نسقه الفلسفي كله. لكن نجد محاورات معينة هي التي توصف بكونها تتضمن معطيات هامة حول المنهج عند أفلاطون وهي: محاورة فيدروس والمأدبة والجمهورية (الجدل الصاعد أو صعود العقل نحو المثل) والسفسطائي والسياسي (منهج القسمة) وبرمنيدس وتيماوس  
كان المعنى السائد للجدل قبل أفلاطون هو المناقشة أو فن البرهنة العقلية والدفاع عن الرأي، وهذا هو الجدل الذي مارسه زينون الأيلي (480-420 ق.م) الذي يقال أنه هو مخترع الجدل. كان الجدل عند زينون سلاحا فكريا، يستعمله ليناقش ويحاور ويجيب، منتقلا من نتائج إلى نتائج أخرى، وعموما يمكن القول أن جدل زينون كان يتميز بخاصيتين هما: الانتقال من فرضيات إلى نتائج تُستنتج منها، جعل الخصم يقع في التناقض. وسنجد هذا التصور عند السفسطائيين بشكل مبالغ فيه. حتى قيل أنه إذا كان جدل زينون يقوم على مبدأ التناقض، فإن جدل بروتاغوراس يهدم مبدأ التناقض ذاته، ويهدم بذلك العقل والجدل.

  فسوف يواجه السفسطائيين، ويجعل الإنسان موضوعا للفلسفة ويضع أسس منهج فلسفي، أما سقراط تميز بالتهكم والحوار والتوليد والاستقراء، وتدمير اليقين المباشر.  
 ولقد استخلص أفلاطون منهجه الفلسفي من منهج سقراط، بحيث جعله منهجا يستطيع بلوغ المبادئ السامية للأشياء، أي جعله المنهج الجدلي الأفلاطوني، وجعل مفهوم "التذكر" روحا لهذا المنهج. (في محاورة فيدر وفيدون)  
 كان الشكل العادي للجدل هو الحوار، لذلك سمي المنهج الحواري بالمنهج السقراطي، ويعرّف أفلاطون الجدلي بأنه "ذلك الذي يعرف كيف يسأل ويعرف كيف يجيب"  
إذا كان سقراط يستعمل التهكم لتفنيد خصومه وإسكاتهم، ويستعمل التوليد لقيادة خصومه بالتدريج لبلوغ الحقيقة، فإن أفلاطون كان يستعمل النقد لإيقاظ عقول الشباب أو لإحراج السفسطائيين، ولا يهاجم عن طريق النقد المذاهب الكبيرة مثل مذهب هيراقليطس أو مذهب بارمنيدس، فلما يواجه مذاهب كبيرة يختفي التهكم لتحل محله المناقشة الصارمة والعالمة (مثل ما نجد ذلك في محاورة Théétète ومحاورة السفسطائي ومحاورة Philèbe )   
يمكن القول أن منهج أفلاطون في المحاورات النقدية يعتمد على الخطوات التالية التي تعتبر الدرجات الأولى للمنهج الجدلي وهي مخلصة للمنهج السقراطي طرح السؤال حول تعريف موضوع معين أو مفهوم معين (العلم، الجمال، الشجاعة،....

أ- الجدل الصاعد والنازل:استعمل أفلاطون منهجا جدليا قائما على الجدل الصاعد والجدل النازل. ويتحقق الجدل عند أفلاطون بالانتقال من الكثرة والمحسوس إلى الوحدة والمعقول حتى نصل إلى العلة الأولى أو الخير الأسمى. وكان الجدل عنده هو المنهج الذي به تتجرد النفس من المحسوس، وترتفع إلى المعقول، دون استخدام المحسوس، وإنما يتم من خلال الانتقال من فكرة إلى فكرة بواسطة فكرة. وينقسم الجدل عند أفلاطون إلى نوعين: جدل صاعد من العالم المحسوس إلى الخير الأسمى، وجدل هابط من الخير الأسمى إلى العالم المحسوس. ومن ثم، فالجدلي هو الذي يحسن السؤال والجواب. ويستند الجدل إلى آليتين منطقيتين: آلية استنتاجية تقوم على طرح الفرضيات والأفكار التخمينية، والاستدلال عليها وفق مقايسة عقلية وتحليلية برهانية بهدف الاستنتاج المنطقي، وتحصيل الحقائق اليقينية ؛ وآلية التقسيم التي تعتمد على تجزيء الموضوع إلى أفكار وقضايا وعناصر فرعية، وتصنيفها إلى أنواع وأنماط والبرهنة عليها.

## ب- العالم المحسوس: يضم العالم المحسوس حسب كانط عالم الكواكب والنجوم بالإضافة إلى عالم الأرض. وهو موضوع معرفتنا العلمية الموضوعية.

## ج- الإنسان: هو جزء من العالم المحسوس لكنه يتميز عن هذا الأخير بما يتزود به من قوة عقلية فكرية، لكنه في نفس الوقت مرتبط بدرجة عالية من التأشكل بذلك العالم من حيث أن العالم موضوع معرفته وتدخله فيه أو قصده بدليل أنه له قدرات على معرفته معرفة موضوعية.

## د- العالم المعقول: من منظور كانط هو عالم متميز عن عالمي: العالم المحسوس والإنسان، وإن كانت له بهما صلات. لأنه يحتوي أشياء ومعان غير تجريبية، مثل وجود الله ومصدر العالم وعلة وجوده، كما يحتوي ما يفتح للإنسان أفق الخلود والحرية. وهو عالم وضعه كانط  كفرض يفسر به مشكلات الحرية، الله ومصير الإنسان.

.

المنهج الجدلي بخطواته عند **هيجل**:

يصف هيغل المنهج الجدلي ذو الثلاث خطوات بقوله: إن الخطوة الأولى من عمل الفهم والثانية من عمل العقل يتصف بالخصائص الآتية: الضلع الأول "مباشرة" أو يتصف السلبي والثالثة من عمل العقل الايجابي . ويرى هيغل أن المثلث الجدلي بالمباشرة، الضلع الثاني "متوسط"، والضلع الثالث يجمع بينهما، أي أنه المباشر الذي دخله التوسط . ويطلق هيغل على الضلع الأول من كل مثلث مصطلحا خاصا هو "ما هو في ذاته" أي ما هو ضمني أو ما هو بالقوة بلغة أرسطو، وعلى الضلع الثالث "اسم ما هو لذاته" أي ما هو صريح أو علانية أو بالفعل. إن المنهج الجدلي عند هيغل منهج موضوعي وليس منهجا ذاتيا يضمنه الباحث لنفسه، وهو موضوعي لأنه يعبر عن نشاط العقل الموضوعي كما يتمثل في حركة المقولات وتسلسلها. بدأ الجدل سيره بالوجود الخالص، ثم اتضح لنا أن حقيقة هذا الوجود الخالص هي الصيرورة . غير أن الصيرورة لم تكن سوى قنطرة ومعبر إلى الوجود المتعين، وظهرت حقيقة هذا الوجود المتعين في الأخرية، ثم اتضح لنا أن نتيجة الأخرية هي الوجود للذات محررا من الارتباط بالأخر ومن العبور إلى الأخر ينسخان الكيف كله في جميع مراحله .وهذا الكيف الملغى أو المنسوخ ليس عدما مجردا، كما أنه ليس وجودا خالصا , إنه لا يتأثر بالتعين "أو... وانتهينا إلى أن الوجود للذات هو للطرد والجذب واتضح أن الطرد والجذب يلغيان نفسيهما (لأن كل منهما ينتقل إلى الأخر) وبالتالي الكيف" و هذا الوجود الذي لا يتأثر بالكيف هو : الكم، إذن الكم والكيف متحدان، لأن الكيف يتحول إلى الكم، والكم يعود بدوره ويتحول إلى كيف من جديد، وبالتالي فكل منهما يتحول إلى الأخر، وإذن فهما متحدان، غير أن القول بأن كلا منهما يتحول إلى الأخر يتضمن أنهما متباينان، لأن تحول الشيء إلى شيء أخر يعني أن الشيء الثاني مختلف عن الشيء الأول، وإلا لما كان هنالك تحول وعلى ذلك يكون لدينا جانبان جانب اتحاد الكم والكيف في هوية واحدة، وجانب اختلافهما أو تباينهما، ويؤدي ذلك إلى ظهور طبقتين للوجود : الطبقة السفلى وهي الوحدة الذاتية أو الاتحاد الدائم، أو الوجود غير المتميز، وهي طبقة تقوم على تبيان الكم والكيف ... وهذا التصور المزدوج للوجود هو الماهية،

بدأ المنهج الجدلي سيره بدائرة الوجود، ثم بين لنا أن هذه الدائرة لا يمكن أن تقوم بذاتها ولكنها لا أن تسلمنا إلى دائرة أخرى تمثل درجة أعلى في سلم المعرفة وهذه الدائرة هي الماهية. وها نحن أولاء نصل إلى القسم الثالث والأخير الذي يعتبر أعلى درجات المعرفة. فإذا كانت مقولات الوجود تمثل درجة دنيا من المعرفة. فإن مقولات الماهية تمثل معرفة الفهم، في حين أن المقولات الفكرة الشاملة هي أساس المعرفة العقلية بصفة خاصة. إذ ليس الوجود والماهية إلا لحظتين من لحظات الفكر... ومعنى ذلك أن الفكر هو حقيقتهما وهو أساسهما لأنه الهوية التي تجمعهما معا... ومعناه أيضا أن الوجود والماهية تضمنتا البذور الأولى للفكرة الشاملة. وعودة إلى العرض والجوهر حيث الأول هو نفسه ما يخرجه الجوهر من نفسه فإنه كذلك جوهر، والعلاقة بين جوهرين أحدهما فاعل والثاني منفعل، وهذه العلاقة هي علاقة السبب والنتيجة، فالجوهر الأول هو السبب والجوهر الثاني هو النتيجة . ولكن طالما أن النتيجة جوهر فهي لذلك سبب يؤثر مع ضده في هوية واحدة بحيث يختفي التمييز بين السبب والنتيجة فيصبح السبب نتيجة وتصبح النتيجة سببا، ومن هنا يصبح الجوهران جوهر واحدا فحسب، بمعنى أن الضد ليس شيئا مختلفا وإنما هو نفسه الجوهر، ومعنى ذلك أن الجوهر يبقى في التضاد في هوية واحدة مع نفسه وهذا هو تعريف الفكر. بقي بعد ذلك أن نعرف معنى قولنا إن الفكر هو مبدأ الحرية، وذلك سيتطلب منا أن نعود مرة ثانية إلى مقولات الماهية حيث نجد أن عنصر الضرورة الكامن في مقولة الجوهر والعرض قد تطور من خلال مقولة السبب والنتيجة بحيث لا يكونان لحظتين ترتبطان ضرورة وإنما تصبحان وجهين لنشاط حر وهكذا يتضح لنا ان حقيقة الضرورة هي الحرية وعلى هذا النحو ننتقل من دائرة الماهية إلى دائرة الفكر الشاملة . ووجهة النظر العامة لدائرة الفكر الشاملة هي أن كل الأشياء عبارة عن فكر ولكن الفكر له جانبان هما: الذات والموضوع. ومن هنا سنجد أن كل جانب من هذين الجانبين يركز عليه بادئ ذي بدء تركيزا تجريديا، فيوصف الكون أولا بأنه ذات، ثم يوصف-ثانيا- بأنه موضوع، وفي النهاية يرفع هذا الانفصال وتوصف طبيعة الكون بنها الفكر الذي لاهو ذات فحسب ولا هو موضوع فقط وإنما هو الذات والموضوع في أن معا.

**5- المنهج الجدلي المادي(ماركس، التوسير، ماكس فيبر،...)**

**كارل ماركس:**

اذا كان هيغل يوحد بين المنهج الجدلي ومذهبه المثالي ويربط بينهما برباط وثيق. فان الماركسية نفسها تساير هيغل في ذلك فتوحد بين المنهج الجدلي والمذهب المادي، ونقطة الخلاف الرئيسية بين هيغل وماركس تكمن أساسا في تصور كل منهما للكون أو بدقة أكثر في تحديد كل منهما للعلاقة بين الفكر والوجود، وأيهما يسبق الأخر منطقيا: هيغل يرى أن الفكر هو الشرط الأساسي وهو المبدأ الأول للكون. في حين أن ماركس يرفض هذه النظرة المثالية ويرى أن الطبيعة هي الأساس الأول وهي الشرط المنطقي لوجود الفكر والحياة الروحية بأسرها. ونقطة الخلاف هذه لا تمس المنهج لا من قريب ولا من بعيد فأيا ما كانت نقطة البدء، وأيا ما كان موضوع الفلسفة وأيا ما كان تصورهما الفلسفي عن العالم فهما متفقان في أن طريق السير الصحيح ليس شيئا أخر غير الطريق الجدلي المرصوف بالمقولات الهيغلية.

أوضح أنجلز نقطة التعارض هذه بين الفلسفتين بإسهاب وتفصيل في مقاله عن فيورباخ حين تحث عن نشأة الماركسية "كتيار خصب" خرج من انحلال المدرسة الهيغلية وكيف أنهم شقوا طريقا مخالفا للهيغلية في النظر إلى العالم "ووطدنا العزم على التضحية بكل مثالي لا يتفق معنا في النظر إلى الواقع كما هو لا بشكل خيالي" وهذه هو أساس الخلاف مع الهيغلية "(...)غير أن هيغل لم يستبعد تماما بل على العكس لقد اتخذنا نقطة البدء من الجانب الثوري في فلسفته وأعني منهجه الجدلي". قوانين "الجدل الماركسي" ومقولاته تؤيد هذا التفسير.

قوانين الجدل الماركسي والجدل الهيغلي:

تلك مقدمة نخلص منها إلى النتيجة التالية- بذلك تكون الماركسية قد نقلت الجدل الهيغلي كما هو بنصه دون أن تقلبه ، ودون أن تضيف إليه إضافة واحدة , وبناء عليه لا يجوز أن يقال إن هنالك ما يمكن تسميته "بالجدل الماركسي" الذي يقابل "الجدل الهيغلي"

القانون الأول: التغير من الكم إلى الكيف والعكس

وهذا هو باختصار شديد القانون الأول من القوانين الأساسية للجدل الماركسي، وهو منقول بنصه عن منطق هيغل، ويمكن أن نتساءل: كيف وبأي معنى استطاع ماركس أن يقلب مقولة الكمية النوعية عند هيغل وهي المقولة التي جعلتها الماركسية أول قانون من قانون الجدل؟

القانون الثاني: صراع الأضداد وتداخلها

وليس فيه من جديد أضافته الماركسية إلى فكرة صراع الأضداد عند هيغل ذلك الصراع الذي كان يطلق عليه اسم مبدأ "السلب" ويصفه بأنه الروح التي تبعث الحياة في العالم المادي والروحي على السواء , وهو أيضا صراع باطني وداخلي ومحدد وهو مصدر الحركة والتطور6

القانون الثالث: نفي النفي: خذ مثلا "أ" فلو سلبناها لكان عندنا "(-)أ" ولو أننا عدنا من جديد ونفينا هذا النفي نفسه بأن ضربنا "(-)أ" \* "(-)أ" لكان عندنا : أ (أس اثنين) أي أن العدد الأصلي الموجب ولكن في درجة أعلى وهذا هو القانون الثالث والأخير من القوانين الأساسية للجدل الماركسي وليس فيه جديد على فكرة النفي عند هيغل. والواقع أن أنجلز وهو يضرب الأمثلة السابقة في كتابه ضد دوهرنج كان يسمي هذا القانون دائما باسم"قانون نفي النفي الهيغلي.

أما أن هذه الأفكار ظلت عند هيغل مقولات ولم يطلق عليها اسم القوانين الأساسية للجدل فذلك راجع إلى أنه كان يحلل الجدل نفسه في المنطق ولم يكن يضع له قوانين. إذا كانت الماركسية قد شرحت قانون الأضداد بأمثلة عينية في ميدان الطبيعة أو ميدان العلوم الاجتماعية، فإن هيغل لم يتحدث عن أضداد الفكر فحسب، بل شرح هذه الفكرة بأمثلة عينية بالغة العمل ولم تقتصر هذه الأمثلة على الطبيعة والتاريخ أو الفلسفة فحسب، بل امتدت إلى العلاقات الاجتماعية نفسها وهذا واضح في مؤلفاته المختلفة، فهو في ظاهريات الروح مثلا يحلل العلاقة بين العبد والسيد ويذهب إلى أن العبد بفضل عمله ونشاطه يصل إلى الاستقلال الذاتي، ولا يصبح موضوعا لاستغلال الآخرين، وإنما يصبح شخصية مستقلة تحددها "أفعاله وإرادته" في حين ينقلب السيد عبدا تابعا لمولاه، وهذا التحليل هو الذي وقفت الماركسية وغيرها من النظم الاشتراكية الأخرى تتأمله طويلا كما يقول جان بول سارتر وفندليو وغيرهما، فهنالك باختصار مئات من الأمثلة العينية والوقائع التجريبية التي قدمها هيغل ثم ترددت بعد ذلك كشرح "للقوانين الأساسية للجدل الماركسي". ويقول انجلز أن دراسة صور الفكر وتحديداته عملية هامة جدا وضرورية للغاية وهذا العمل لم يضطلع به أحد منذ أرسطو غير هيغل.

**6- المنهج التحليلي:**

التحليل عكس التركيب وهو إرجاع الكل إلى أجزائه، وفي الاصطلاح هو الانتباه إلى التصور ثم تحليله إلى تصورات أخرى تؤلفه، ثم إحصاء كل المعاني التي يدل عليها اللفظ ومحاولة التقاط الخاصية المشتركة بينها . ويعتبر هذا المنهج متناسقا وروح العصر الذي ظهر فيه أي القرن العشرين. وبدأ هذا الاتجاه في انجلترا **مع جورج مور**، ثم سار في طريقه فيما بعد **برتراند راسل** و**الفريد نورث هوايتهد** ، وكان هؤلاء يريدون الرجوع إلى العناصر الأولية البسيطة والوحدات الجزئية التي يقوم عليها الفكر والوجود ، ثم العمل على توضيح حقيقة تلك العناصر والجزئيات والعلاقات التي تربطها بعضها ببعض

وبدأ تطبيق المنهج التحليلي على الرياضيات ليكشف الوحدات الأساسية التي ترتد إليها ، وليوضح أنواع العلاقات التي تربطها فيما بينها. وفي الحقيقة فإن تحليل الرياضيات إلى عناصرها عملية شرع فيه قبل ذلك **بيانو** الذي رد العلوم الرياضية كلها إلى علم الحساب، ثم قام بعد ذلك بتحليل علم الحساب ورده إلى ثلاثة مبادئ أولية بسيطة وأطلق عليها اللامعرفات وهي الصفر والعدد والفئة ، وظن **بيانو** أن تلك هي أخر المبادئ التي يمكن تحليل الحساب إليها. لكن جاء راسل واستخدم منهج التحليل على العدد ووجد أنه بدوره يرتد إلى فكرة الفئة التي هي من مباحث المنطق، وهكذا وجد أن المبادئ الأولية للرياضيات ترتد إلى المنطق واستمر هذا الاتجاه التحليلي مع الوضعية المنطقية التي ظهرت عند **موريس شليك** في فينا، ثم حمل لوائها بعد ذلك **آير**  و**كارناب**. وبهذا يمكن القول أن  الفلسفة التحليلية هي نتاج مشترك لتزاوج مذهب **جورج مور** وأفكار الوضعيين الجدد .

يرى راسل أن الفلسفة تشبه العلم من حيث أنها تحاول حل المشكلات التي تلتقي بها عن طريق المناهج العقلية الصرفة، فالفلسفة العلمية هي جهد عقلي متواضع يرفض كل محاولة لبناء أي نسق فلسفي موحد, فنحن بإزاء فلسفة تحليلية تأبى التورط في إقامة أي مذهب ميتافيزيقي على طريقة الفلاسفة العقلانيين الكلاسيكيين، لأنها تؤمن بضرورة معالجة المشكلات الفلسفية واحدة بعد الأخرى عن طريق اصطناع مناهج التحليل المنطقي.

ويؤكد راسل على أهمية التحليل وانه استمرار لعملية (البحث العلمي) فليس ما يبرر فصل المهمة التحليلية القائمة على توضيح الأفكار عن المهمة التركيبية القائمة على اكتشاف الوقائع وشرحها؛ لأن التحليل معزولاً عن البحث الواقعي عملية قاصرة جوفاء، في حين أن البحث العلمي الذي لا يقوم على فهم حقيقي لمعانية وعملياته لا يزيد عن كونه عملية مختلطة عمياء. فمذهب راسل التحليلي الذي يطرحه لمعالجة المشكلات الفلسفية يرتبط بعقليته الرياضية القائمة على تحليل المشكلة وبيان السبب المباشر في تعقيدها. وكان الهدف الأساسي عند راسل من منهجه التحليلي هو الرجوع إلى العناصر الأولية البسيطة والوحدات الجزئية الأساسية التي يقوم عليها الفكر والوجود والتي يبدأ منها العلم والمعرفة لأن هذا التحليل يوضح حقيقة تلك العناصر والجزئيات، كما العلاقات التي تربطها ببعضها البعض. كما يرى راسل انه ليس أجدر بالفيلسوف من المفردات اللغوية, حيث إن الألفاظ المستخدمة عادة في اللغات الطبيعية غامضة وملتبسة ومن هنا فإن على الباحث الفلسفي أن يحدد معانيه، وان يحرص باستمرار على فهم المعاني الدقيقة التي تستخدم فيها الألفاظ حيث ترد على قلم هذا الفيلسوف أو ذاك، ولذا فقد ظل راسل يفرق بين مظهرين مختلفين للغة: مجموع مفرداتها من جهة وتركيبها أو بنائها من جهة أخرى. الجمل والقضايا هي العبارات البسيطة التي لا يمكن تجزئتها إلى قضايا أو جمل اصغر منها، أما الذرات في مستوى الكلمات فهي الوحدات البسيطة التي لا يمكن تجزئتها إلى كلمات اصغر منها، فهو يبحث عن الذرات أو الأوليات التي تتألف منها المعرفة ثم يحاول بناء اللغة والمعرفة. "